الألغاز في الأدب العربي

الأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة)

ألغاز منثورة

لم تسلك الألغاز سبيلها إلى النثر الفني كغرض من أغراضه إلا في عصور الأدب المتأخرة عندما انحط الشعر والنثر جميعاً. فخاض الأول مجارى ضحلة من الأفكار والأخيلة والأساليب، وتهافت إلى معان ضئيلة ليس أدل على مبلغ ضؤولتها من أنهم لم يكونوا يصوغونها في أكثر من أبيات لا تتجاوز في تحديدها « البضع » ؛ يضمنونها من متكلف التورية ومستكره الطباق والتجنيس ما قد يكون توفر لديهم في لحظات تفكيرهم الآلى، واعتكافهم الطويل على تصيد الألفاظ من معجماتها. فاقتحم النثر على الشعر حرمه وقد زايلته قداسته، وشاركه سائر فنونه

الصناعية أيضاً، وسيعينها على الدراسة الأخيرة أن في بلادنا الآن مغازل يستطاع بوساطتها تعرف حاجات صناعة النزل وإجراء مختلف التجارب

وسيفيد وضع هذه النماذج في تحديد القيمة الصناعية للقطن المصرى بالضبط، وسيتيح للمنتجين أن يبيعوا أقطانهم بأسعار موحدة لا غبن فيها، وسيرد عليهم هم أنفسهم النفع الذى كان يجنيه الوسطاء، وسيرفع عن القطن المصرى الآصار التى كان هؤلاء يضعونها عليه. وفوق هذا فسيجلو للمصانع حالة الأقطان المصرية ويسهل عليها الحصول على حاجاتها المتنوعة من مختلف الأقطان، وسيكشف الغطاء عن أسرار طلبات المغازل، تلك الأسرار الخافية إلا على بيوت التصدير الأجنبية

وأرى ألا تسمح الحكومة بإنتاج أصناف من القطن تخالف النماذج التى تضعها، أى أن تمنع إنتاج أى نوع لا يستوفى مطالب المغازل. وتحقيقاً لذلك لا بأس — إذا اقتضت الحال — من قصر الزراعة القطنية عندنا على بيئات معينة.

(البقية في العدد القادم) زكريا مهراج

وأغراضه. ولم يبق إلا أن يجوس معه خلال مجاهل الألغاز التى حلا لأكثر الشعراء المتأخرين أن يلقاثوا فيها . . . وهكذا نجد الألغاز المنثورة منحصرة في هذا النوع المريض الدنف . . . المتحامل على سنن واه من إغراب لفظ، أو لَىّ تركيب، أو تعمية إعراب، أو تصحيف أو تحريف أو عكس أو قلب أو غير ذلك

ومن أمثلته قول الصاحب بن عباد لأبى العباس الحارث في يوم قيظ : ما يقول الشيخ في قلبه ؟ أراد قلب (الشيخ) وهو (خيش)[1]

ومن طريف الألغاز المنثورة قول العماد الكاتب للقاضى الفاضل : « سر فلا كبا بك الفرس » فهذا الكلام إذا قرئ معكوساً — بالابتداء من آخر أحرف الفرس — حصلنا منه على العبارة بنصها ! ويناظره جواب القاضى الفاضل على دعاء العماد بقوله : « دام عُلا العماد »

ومن رسالة لفضل الله بن عبد الرحمن بن مكانس ملغزاً في الورد : ما عاطل تتحلى به المجالس، ويتفكه به المجالس، تحمرُّ وجناته من الشرب، وتحمد آثاره في البعد والقرب . . . إن حذفت أوله وحرِّفتَ باقيه وجدته أمراً بالشراب، وإن فعلت كذلك في ثانيه رأيت ما بقى يؤكد المحبة بين الأصحاب. و « وَرٌ » إن حذفت آخره كنِ ورِّى، وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج « دُرا » ...

وكتب بدر الدين بن الدماميني من لغز في (روضة) : ما قول مولانا أبقاه الله تعالى ... في دار ينعم بها الجاني، وتطرب في مرابعها الألحان المغنية عن المثالث والمثاني ... طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل، ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل ... إن عرَّف لفظها كان علماً لمحل[2] لا يطرقه تحمل، ولا ينكر تأنيثه فحل. يحدث المصرى بحلاوته، ويخبر عن لطفه وطلاوته. وإلا فعلم على جملة يعرفها الطالب[3] ويستحسن

---

(١) الخيش مروحة تشبه الشراع تعلق في سقف البيت ويشد إليها حبل تتحرك به. فاذا بلت بالماء ورشت بماء الورد حدث من حركتها نسيم بارد طيب الريح — عن الشريشي في شرح المقامات

(٢) يقصد الروضة العامرة إحدى منازه القاهرة

(٣) لعله يشير إلى كتاب يعرف بالروضة، ولم يتسع لنا المجال لتحقيق هذا.

ارتكاب المهالك لينال ما فيها من المطالب . قد فتحت لأرباب المقاصد أبوابها ، ومنحت الأذهان الضالة هديها وصوابها ... الخ

ونحن لا نطيل بإيراد الأمثلة من هذا الباب وإنما نترك للقارىء أن يطلب المزيد منها — إن شاء الله — فى مظانها ومواطن طلبها من مجاميع الأدب المتأخرة ...

نتمة فى الملغزين وبعض تصانيفهم

نختم هذا البحث بذكر بعض من كانت لهم شهرة الاختصاص بالألغاز وسعة البراعة والحذق فيها . دون من ألموا بها غير مكثرين فى أشعارهم أو تصانيفهم ، كأكثر الذين أشرنا إليهم . فمن برّزوا فى هذا الفن : الحسين بن على المعروف بالنديم[1] قال ياقوت : « كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى فى حل الألغاز العويصة » ، ومن طريف أمره أنهم وضعوا له أبياتاً على صورة الألغاز ولم يلغزوا فيها — يختبرون بذلك فطنته — فقالوا له :

وما شيء له فى الرأس رجلٌ ... وموضع وجهه منه قفاه
إذا غمّضت عينك أبصرته ... وإن فتحت عينك لا تراه

ونظموا له أيضاً :

وجارٍ وهو تيسار ... ضعيف العقل خوار
بلا لحم ولا ريش ... وهو فى الرمز طيار
بطبع بارد جداً ... ولكن كله نار

فقال عن الأول إنه طيف الخيال وعن الثانى إنه الزئبق ؛ وعلل إجابته فى ذلك بكلام مقنع !

وبرع فى هذا الفن أيضاً محمد بن أحمد الهاشمى الملقب بأبى العبر ، وله فيه طرائف أورد ياقوت كثيراً منها فى معجمه

وذكر أيضاً عن محمد بن سعيد الموصلى أنه كان « ذكياً فهماً إماماً فى استخراج المعمى والعروض » ، ووصف ابن عنين الدمشقى بقوله : «لغوى أديب ... برع فى الشعر وحل الألغاز »

وممن اشتهر بالألغاز فى مصر تاج الدين محمد بن أحمد الدشنائى (٦٤٦ — ٧٢٢ هـ) . ذكره تلميذه كمال الدين الأدفوى فى الطالع السعيد فقال . « كان لشيخنا تاج الدين يدٌ جيدة فى نظم الألغاز والأحاجى وحلها » ثم أورد بعض ألغازه شعراً . وتحدث أيضاً عن الشريف فتح الدين على بن محمد القنائى (المتوفى سنة ٧٠٨ هـ) فقال : « وله يد عليا فى حل الألغاز وله فيها نظم كثير . كان شيخنا تاج الدين الدشنائى يكتب إليه بالألغاز ويحلها ، وكذلك علم الدين يوسف بن أبى المُنا » وذكر عن هذا الأخير — وقد توفى عام ٧٢٨هـ — أنه كان ذا « معرفة جيدة بحل الألغاز والأحاجى ، ونظم فيها أشياء كثيرة » ثم أورد له شيئاً من كلامه

وممن لهم تصانيف فى الألغاز أشارت إليها المصادر الأدبية — وإن لم يصلنا أكثرها — : ثابت بن قرة مؤلف رسالة السبب الذى لأجله ألغز الناس فى كلامهم[1] ؛ وأبو الحسن بن كيسان النحوى صاحب كتاب (المعمّى) ؛ ومحمد بن أحمد ابن طباطبا صاحب كتاب المدخل فى معرفة المعمى من الشعر ؛ ومحمد بن أحمد الكاتب المعروف بالمفجع ، وله كتاب : الترجمان فى الشعر ومعانيه ، يشتمل على ثلاثة عشر حدّاً آخرها حد اللغز . وللحسن بن أحمد الفارقى كتاب فى الألغاز ؛ والزمخشرى صاحب الكشاف وأساس البلاغة معروف أيضاً بكتابه : الأحاجى النحوية . وقد قام الإمام السخاوى « أبو الحسن على ابن محمد » بشرح هذا الكتاب . قال السيوطى فى بغية الوعاة : وله من التصانيف — يعنى السخاوى — شرح أحاجى الزمخشرى النحوية ، من أجل الكتب فى موضوعه ، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشرى بلغزين من نظمه

إلى هنا نقف الحديث . ونحن لا نحاول أن نستوعب أو نستقصى فى مثل هذا البحث المستفيض ؛ وإنما نضع أمام القارىء خلاصة نرجو أن تكون وافية ملمة من الموضوع بأكثر أطرافه ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) كان نديم الخليفة المستجد بالله ، وعاش بين سنتى ٥٠٠ و ٥٨٠ هـ

(١) سنو وفيات ابن قرة وابن كيسان وابن طباطبا والمفجع والفارقى والزمخشرى والسخاوى هى على الترتيب : ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٤٨٧ ، ٥٣٨ ، ٦٤٣ من الهجرة